المحور: التعليم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني.

المحاضرة– كبار المعلمين في الجزائر خلال العهد العثماني:

1-الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدّورة(ت1066هـ/1655م):

نشأ الشيخ سعيد قدورة بمدينة الجزائر، ولكن الاختلاف حصل في مكان ولادته، بين قائل أنه ولد في تونس، وقول آخر أنه ولد في الجزائر، ولقد تلقى سعيد قدورة العلم على مشيخة مدينة الجزائر، وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن بلقاسم المطماطي، الذي كان مفتيا بالجامع الأعظم، وكغيره من الطلبة الراغبين في الاستزادة من العلم، قام سعيد قدورة بعدة رحلات علمية، فالتحق بزاوية تنس، حيث تتلمذ على الأخوين محمد وعلي ابني أبهلول أصحاب زاوية مجاجة، وذلك سنة 1004هـ أو 1005هـ/ 1596م، ومكث بها إلى سنة 1009هـ/ 1600م، حيث عاد إلى مدينة الجزائر[1].

وبعد ثلاث سنوات، أي سنة 1012هـ/1603م شد سعيد قدورة الرحال إلى مدينة تلمسان، وكانت شهرة المقري قد بلغت القاصي والداني، فتتلمذ على يديه، ومن تلمسان سافر إلى المغرب الأقصى، فزار صحراء فجيج وتافيلالت وسجلماسة ، وبني عباس التي درّس بها سنة 1015هـ/ 1606م، كما زار مدينة فاس، ولم يعد إلى الجزائر إلا في سنة 1019هـ/ 1610م، حيث تولى سعيد قدورة إمامة مسجد البلاط، ثم خطابة جامع سيدي رمضان مع التدريس فيهما، ثم الإفتاء المالكي بالجامع الكبير بعد عزل سيدي أحمد زروق بن عمار سنة 1028هـ/1618م، واستمر في هذا المنصب إلى وفاته سنة 1066هـ[2].

---

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص. 358.

[2] لزعم، "**البيوتات**"، ص ص.47-48

وإلى جانب وظيفة الفتوى المالكية كان سعيد قدورة خطيبا ومدرسا بالجامع الأعظم، حيث تعود شهرته إلى المدة الطويلة التي قضاها في الفتوى والتدريس بأهم مساجد الجزائر، وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء، من أشهرهم: ابنيه محمد وأحمد قدورة، والشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري، والشيخ يحيى الشاوي المليانى، والشيخ عيسى الثعالبي، والشيخ أبو حفص عمر المانجلاتي وغيرهم[1].

ونظرا لشهرة سعيد قدورة، شدّت إليه الرحال من مناطق بعيدة كإقليم توات، فأخذ عنه بمدينة الجزائر الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي، وابنه الشيخ البكري، كما أخذ عنه بعض علماء المغرب الأقصى، ومن أشهرهم الشيخ محمد بن سليمان الروداني، أما التآليف المنسوبة إليه فأغلبها إملاءات كان يمليها على طلابه، لاسيما في الحديث والفقه والنحو والمنطق، نذكر منها شرح على جوهرة التوحيد للقاني في العقيدة، شرح على السلم المرونق في المنطق لعبد الرحمان الأخضري، شرح مختصر سيدي خليل في الفقه[2].

2- الشيخ سعيد بن أحمد المقري(928هـ-1522م/1025-1616م):

ولد سعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمان المقري [3] سنة 928هـ بتلمسان، حيث تعلم على يد مشائخها، ثم رحل إلى فاس، ليدرس على أشهر مشائخها، ومن بينهم الشيخ عبد الواحد الونشريسي، بعد مدة رجع المقري إلى تلمسان، وفي سنة

---

[1] لزعم، "**البيوتات**"، ص ص 49-50.

[2] نفسه، ص.49

[3] تعد الأسرة المقرية من أشهر الأسر العلمية في مدينة تلمسان، وتعد تسميتهم بالمقري، نسبة إلى قرية من قرى الزاب تدعى(مقرة)، وتقع هذه القرية اليوم بين بريكة والمسيلة، للمزيد من المعلومات، ينظر: فاطمة بكوش **‹‹ أبو عبد الله المقري ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي ››**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تلمسان(الجزائر) 1433هـ/ 2012م، ص.50.

966هـ تولى الفتوى لمدة ستين سنة، والخطابة بجامعها الأعظم لمد خمس وأربعين سنة[1].

ورغم أهمية وظيفة الإفتاء التي كان يتولاها المقري، إلا أن شهرته الحقيقية اكتسبها من تصديه للتدريس بالجامع الكبير ولثقافته الموسوعية، إذ كان ملما بجميع العلوم المتداولة وغير المتداولة في عصره، وهو ممن تمكنوا من افتكاك منزلة رفيعة بين علماء تلمسان، متفننا في تدريس العلوم، يعرف كيف يشد انتباه طلبته ليصل بهم إلى التحصيل العلمي[2]، ويصفه ابن مريم في كتابه البستان بقوله: ‹‹ له باع في حديث البخاري وغيره، وكان علامة في التوحيد والفقه...أتقن كل علم، حافظا للغة العربية والشعر والأمثال ››[3].

كما كان المقري ملما أيضا بالعلوم العقلية من حساب ومنطق وفرائض وهندسة وطب وعلم الجراحة، ورغم المدة الطويلة التي مكثها المقري في التدريس والفتوى، إلا أننا لا نعرف أنه ترك تأليفا ولو مختصرا، ومعنى ذلك أن شهرته قد جاءت من أثره في التدريس لا في التأليف، ومهما يكن، فقد تخرج على يد المقري جيل من العلماء من تلمسان ومن خارجها، والذين ألفوا الكتب وأصبحوا مثله من المدرسين البارزين، ونذكر من بينهم، ابن أخيه أحمد المقري صاحب كتاب نفح الطيب، وسعيد قدورة،

---

[1] الحاج محمد بن رمضان الشاوش، **كتاب جوهر السوسان في التعريف بتلمسان** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ص.154،

[2] نصر الدين بن داود **‹‹ بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م››**، شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان(الجزائر)1430-1431هـ/ 2009-2010م، ص.189.

[3] ابن مريم، **البستان**، ص.195.

وعيسى البطيوي، وابن جلال التلمساني، كما أجاز الشيخ المقري عددا من العلماء، نذكر منهم ابن القاضي، صاحب كتاب(جذوة الاقتباس)[1].

3-الشيخ أبو محمد عبد الكريم الفكون (الحفيد) 988-1073هـ/1580-1662م:

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحيى الفكون التميمي من قبائل تميم العربية، ولد عام 988هـ/1580م بقسنطينة، حيث بدأ الفكون رحلته في طلب العلم بحفظ القرآن الكريم، ثم قرأ على شيوخ العلم في قسنطينة، ومن أبرزهم محمد التواتي، ومحمد بن راشد الزواوي، وبعد أن نال حظا من المعرفة على شيوخ عصره، عكف على القراءة وحده في مكتبة العائلة الغنية، يساعده على ذلك ذهن وقاد وطموح[2].

أسندت للفكون الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم خلفا لوالده محمد سنة 1045هـ/ 1635م، ثم عهد إليه بإمارة ركب الحج، فظل يتولاها إلى وفاته سنة 1662م[3]، أما التدريس، فتصدى له منذ صغره بإذن من والده، فكان مدرسا ناجحا في وقته، إذ جلس للتدريس في الجامع الكبير بقسنطينة وبزاوية العائلة، فكان يستقبل الطلبة من قسنطينة ومن غيرها من نواحي القطر، خصوصا من منطقة زواوة، ومدينة الجزائر، وما حولها غربا، وكذلك نواحي الزيبان وعنابة، ومعظم المواد التي كان يدرسها لطلابه، هي النحو والتفسير والفقه، وعلم الكلام والرسالة وصحيح البخاري[4].

وبالإضافة إلى التدريس وإخراج التلاميذ، ساهم الفكون في حركة التأليف، فنجده ترك مجموعة من التآليف لا يفوقه فيها كثرة إلا معاصره أحمد المقري صاحب (نفح

---

[1] بن داود، مرجع سابق، ص.71، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، ص ص.378-379.

[2] سعد الله، **منشور الهداية**، ص ص7-11.

[3] لزغم، **البيوتات**، ص.

[4] سعد الله، **منشور الهداية**، ص.11.

الطيب)، وتنوعت تآليف الفكون، فشملت الأدب والنحو والاجتماع والدين، ومن أبرزها كتابه (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية)[1].

4-الشيخ محمد أبو رأس الناصري المعسكري(1165- 1238هـ/1751-1823م):

ولد محمد بن أحمد بن عبد القادر سنة 1165هـ/ 1751م[2]، وهو من كبار العلماء في عصره، ولهذا وصفه المزاري بـ‹‹ مجدد القرن 13هـ››، درس أبو راس على عدد من المشايخ بمعسكر، ومازونة وفي مقدمتهم الشيخ عبد القادر المشرفي، ومما زاد في تحصيله العلمي قيامه بعدة رحلات داخل الجزائر وخارجها، والتقى بشيوخها، ونذكر منهم، وانتقل إلى العديد من البلدان بالمشرق والمغرب، واتصل بعلمائها كفاس، وتونس ومصر والشام وفلسطين [3]، كما كان الشيخ أبو راس يحضر بعض المجالس التي تعقد بحضرة محمد باي بن عثمان باي وهران[4].

ولي الشيخ أبو راس المناصب الدينية العليا: الفتوى، القضاء، الخطابة، وتصدى للتدريس، فازدحم الطلبة على حلقته، ولذلك صنع له الباي كرسيا، إلا أن وظائفه لم تشغله عن التأليف، حيث عرف بكثرة تآليفه التي شملت علوما مختلفة: التفسير، القراءات، الحديث، الفقه، النحو، العقائد، الأصول، التاريخ، نذكر منها: زهرة الشماريخ في علم التاريخ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، وعدة شروح على

---

[1] سعد الله، **منشور الهداية**، ص.11.

[2] عبد المنعم القاسمي، **أعلام التصوف في الجزائر** ، ط.1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة (ولاية المسيلة، الجزائر)، 2006م، ص.321.

[3] لزعم، **البيوتات**، ص.315.

[4] أبو راس الناصر، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته** ، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص ص.100-101.

قصيدته (الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلس)، وفي شهر شعبان 1238هـ/ أفريل 1823م توفي الشيخ أبو راس، ودفن بعقبة بابا علي بمعسكر[1].

2

[1] لزعم، **البيوتات**، ص ص.315-316.

2